



الكرسي الرسولي

رسالة إلى شعب الله

"فإذا تَأَلَّمَ عَضُوٌّ تَأَلَّمَ مَعَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ" (1 قور 12، 26). تدوي هذه الكلمات بشدّة في قلبي إذ أرى مرّة أخرى المعاناة التي يعيشها العديد من القاصرين بسبب تعديّات جنسية، وسوء استعمال للسلطة والضمير، ارتكبتها عدد كبير من الإكليروس والأشخاص المكرّسين. جريمة تولّد جراحاً عميقة من الألم والعجز، في الضحايا أولاً، وإنما في عائلاتهم والجماعة بأسرها أيضاً، أكانوا مؤمنين أو غير مؤمنين. وإذ ننظر الى الماضي، لن يكفي أبداً طلبُ الغفران ومحاولة إصلاح الأضرار المُسبّبة. وبالنظر إلى المستقبل، ليس بالقليل أبداً كلّ ما يتمّ فعله لإنشاء ثقافة قادرة على تجنّب السماح لمثل هذه الحالات، لا لأن تتكرّر وحسب، إنما أيضاً لعدم إيجاد المجال لتغطيتها واستمرارها. إنّ ألم الضحايا وألم عائلاتهم هو أيضاً ألمنا ولذلك من الملحّ أن نوكّد مرّة أخرى أننا نعمل على ضمان حماية القاصرين والبالغين الضعفاء.

١. إذا تألم عضو

نُشر في الأيام الاخيرة تقرير يصف خبرة ألف شخص على الأقل، كانوا ضحايا تعديّات جنسيّة وسوء استعمال للسلطة والضمير على يد كهنة لمدة سبعين سنة. وبالرغم من أنه يمكن القول أن الجزء الأكبر من الحالات يعود الى الماضي لكن، ومع مرور الوقت، عرفنا ألم العديد من الضحايا ونرى أن الجروح لا تختفي أبداً وتُجبرنا على أن ندين وبشدّة هذه الأفعال الوحشية، كما وعلى أن نركّز الجهود من أجل القضاء على ثقافة الموت هذه؛ هذه الجراح "لا تزول أبداً". إن ألم هؤلاء الضحايا هو صرخة ترتفع إلى السماء، وتلمس الروح، وقد تمّ تجاهلها لزمان طويل، أو إخفاؤها أو إسكاتها. ولكن الصرخة كانت أقوى من جميع الإجراءات التي سعت لإسكاتها أو ادّعت أيضاً بحلّها عبر قرارات زادت خطورتها. فوقع في التواطؤ معها. صرخة سمعها الربّ وجعلنا نرى، مرّة أخرى، إلى أيّ جانب يريد البقاء. إن نشيد مريم لا يخطئ أبداً ويستمرّ كصورة خَلْقِيّة عبر التاريخ لأنّ الربّ يذكّر الوعد الذي قطعته لأبائنا: "سَتَتِ الْمُتَكَبِّرِينَ فِي قُلُوبِهِمْ. حَطَّ الْأَقْوِيَاءُ عَنِ الْعُرُوشِ وَرَفَعَ الْوَضَعَاءُ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالْأَغْنِيَاءُ صَرَفَهُمْ فَارِغِينَ" (لو 1، 51-53) وإننا نشعر بالعار عندما نتنبه أن أسلوب حياتنا قد أنكر وينكر ما تتلوه بصوتنا.

نعترف بعار وحسرة، كجماعة كنسية، بأننا لم نعرف أن نكون حيث كان ينبغي علينا أن نكون وأننا لم نتصرّف في الوقت المناسب ونذكر أبعاد وخطورة الضرر الذي كان يصيب العديد من الأرواح. لقد أهملنا وتركنا الصغار. أتبنّى كلمات الكاردينال راتزينغر آنذاك عندما، وفي درب الصليب التي أعدت لجمعة الآلام عام 2005، اتّحد بصرخة ألم العديد من الضحايا وقال بقوة: "كم من الوساخة الموجودة في الكنيسة ولاسيما أيضا بين الذين ينبغي عليهم في الكهنوت أن يتمموا بالكامل الى الله! كم من الغرور وكم من الاكتفاء الذاتي [...] خيانة الرسل، والمناولة غير المستحقّة لجسده ودمه، هي بالتأكيد أكبر ألم للغادي، ذاك الذي يخترق قلبه. لا يبقى لنا شيء آخر سوى أن نوجّه إليه من عمق أنفسنا صرخة: كيرالييسون – ارحمنا يا رب (را. متى 8، 25)" (المرحلة التاسعة).

٢. تَأَلَّمَتْ مَعَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ

إنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَعَظَمَتِهَا يَتَطَلَّبَانِ تَحَمُّلَ مَسْئُولِيَّةِ هَذَا الْأَمْرِ بِأَسْلُوبٍ عَالَمِيٍّ وَجَمَاعِيٍّ. رَغْمَ أَنَّهُ مُهِمٌّ وَضَرْوَرِيٌّ فِي كُلِّ مَسِيرَةِ ارْتِدَادٍ أَنْ نَعْرِفَ مَا حَصَلَ، لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ وَحْدَهُ لَا يَكْفِي. فَالْيَوْمَ نَحْنُ مَدْعُوْنَ كَشَعْبِ اللَّهِ لِتَحَمُّلِ مَسْئُولِيَّةِ أَلْمِ إِخْوَتِنَا الْجَرْحِيِّ فِي الْجَسَدِ وَالرُّوحِ. إِنْ كَانَ الْإِهْمَالُ فِي الْمَاضِي قَدْ أَصْبَحَ جَوَابًا، نَرِيدُ الْيَوْمَ أَنْ يَصْبِحَ التَّضَامُنُ بِمَعْنَاهِ الْأَعْمَقُ وَالْمَتَطَلَّبُ أَسْلُوبُنَا فِي صَنْعِ التَّارِيخِ الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، فِي إِطَارٍ يُمْكِنُ فِيهِ لِلصَّرَاعَاتِ وَالتَّوَنُّرَاتِ وَخُصُوصًا لِضَحَايَا جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ التَّعَدِّيَّاتِ أَنْ يَجِدُوا يَدًا تُمدُّ لَهُمْ تَحْمِيَهُمْ وَتَتَقَدَّهْمُ مِنْ آلامِهِمْ (را. الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، عدد 228). وَبِتَطَلُّبِ مَنْ هَذَا التَّضَامُنُ بِدَوْرِهِ، أَنْ نَدِينُ كُلَّ مَا بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَهْدِدَ سَلَامَةَ أَيِّ شَخْصٍ كَانَ. تَضَامُنٌ يَتَطَلَّبُ أَنْ نَكْفِجَ ضِدَّ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْفَسَادِ وَخُصُوصًا الرُّوحِيِّ مِنْهُ "لأنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِعَمَى مَرِيحٍ وَاكْتِفَاءٍ ذَاتِيٍّ حَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو فِي النِّهَايَةِ شَرْعِيًّا: الْخِدَاعُ وَالْإِفْتِرَاءُ وَالْأَنَانِيَّةُ وَالْعَدِيدُ مِنْ أَشْكَالِ الْمَرْجِعِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ، لِأَنَّ "الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يَتَرَبَّأً بِزَيِّ مَلَائِكَةِ النُّورِ" (2 قور 11، 14) (الإرشاد الرسولي أفرحوا وابتهجوا، عدد 165). إِنْ نَدَاءُ الْقَدِيسِ بُولْسِ فِي أَنْ تَتَأَلَّمَ مَعَ مَنْ يَتَأَلَّمَ هُوَ التَّرْيَاقُ الْأَفْضَلُ ضِدَّ آيَةِ رَغْبَةٍ فِي أَنْ نَكْرَّرَ فِيمَا بَيْنَنَا كَلِمَاتٍ قَائِيْن: "أَنَا حَارِسٌ لِأَخِي؟" (تك 4، 9).

أَدْرِكُ الْجُهْدَ وَالْعَمَلَ الَّذِينَ يَتَمَنَّانِ فِي مُخْتَلَفِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ لَضَمَانٍ وَتَحْقِيقِ الْوَسَاطَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، الَّتِي تَعْطِي الْأَمَانَ وَتَحْمِي سَلَامَةَ الْأَطْفَالِ وَالبَالِغِينَ الضَّعْفَاءِ، وَكَذَلِكَ انْتِشَارِ "عَدَمِ التَّسَامُحِ" وَطَرِيقِ لِرَفْعِ تَقَارِيرٍ حَوْلَ جَمِيعِ الَّذِينَ يَرْتَكِبُونَ هَذِهِ الْجَرَائِمَ أَوْ يَغْطُونَهَا. لَقَدْ تَأَخَّرْنَا فِي تَطْبِيقِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَالْعَقُوبَاتِ الضَّرُورِيَّةِ، وَلَكِنِّي وَاثِقٌ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ سَتُسَاعِدُ فِي ضَمَانِ ثِقَافَةِ حِمَايَةِ أَكْبَرِ فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى هَذِهِ الْجُهُودِ، مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَشْعُرَ كُلُّ مَعْمَدٍ بِمَسْئُولِيَّتِهِ فِي التَّحَوُّلِ الْكِنْسِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي نَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَيْهِ. هَذَا التَّحَوُّلُ يَتَطَلَّبُ الْارْتِدَادَ الشَّخْصِيَّ وَالْجَمَاعِيَّ وَبِحِمْلُنَا عَلَى النَّظَرِ فِي نَفْسِ الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَيْهِ الرَّبِّ. لَقَدْ كَانَ الْقَدِيسُ يُوْحَنَّا بُولْسُ الثَّانِي يَحِبُّ أَنْ يَقُولَ: "إِذَا كُنَّا قَدْ انْطَلَقْنَا مُجَدِّدًا بِالْفِعْلِ مِنَ التَّأَمُّلِ بِالْمَسِيحِ، عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ أَنْ نَرَاهُ لَاسِيْمًا فِي وَجْهِ الَّذِينَ أَرَادَ هُوَ نَفْسَهُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِهِمْ" (الرسالة الرسولية للألفية الجديدة، عدد 49). وَبِالتَّالِيِ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ أَنْ نَنْظُرَ حَيْثُ يَنْظُرُ الرَّبُّ وَأَنْ نَكُونَ حَيْثُ يَرِيدُ الرَّبُّ أَنْ نَكُونَ، وَأَنْ نَغَيِّرَ قُلُوبَنَا فَنَقِفَ فِي حَضْرَتِهِ. وَلِتَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ يُمْكِنُ لِلصَّلَاةِ وَالتَّوْبَةِ أَنْ تَسَاعِدَانَا. أَدْعُو كُلَّ شَعْبِ اللَّهِ الْمَقْدَّسِ وَالْأَمِينِ إِلَى التَّوْبَةِ عِبْرَ مِمَارَسَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ بِحَسَبِ وَصِيَّةِ الرَّبِّ^[1]، الَّتِي تَوْقِظُ ضَمِيرَنَا وَتَضَامُنَنَا وَالتَّزَامُنَا مِنْ أَجْلِ ثِقَافَةِ الْحِمَايَةِ وَالِ "لَا بَعْدَ الْآنَ" لِأَيِّ شَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ التَّعَدِّيَّاتِ.

مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ نَتَخَيَّلَ ارْتِدَادًا فِي التَّصَرُّفِ الْكِنْسِيِّ دُونَ مِشَارَكَةِ فِعَّالَةٍ لَجَمِيعِ مَكُونَاتِ شَعْبِ اللَّهِ. أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ: فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَاولْنَا فِيهَا إِزَاحَةَ أَشْخَاصٍ، وَإِسْكَاتِهِمْ، وَتَجَاهْلَهُمْ، وَتَحْوِيلِ شَعْبِ اللَّهِ إِلَى مَجَرَّدِ نَخْبَةٍ صَغِيرَةٍ، قَدْ بَنَيْنَا جَمَاعَةً، وَبِرَامِجٍ، وَخِيَارَاتٍ لَاهُوتِيَّةٍ، وَرُوحِيَّةٍ، وَبَنَى، دُونَ جُذُورٍ وَدُونَ ذَاكِرَةٍ وَدُونَ وَجْهِ وَدُونَ جَسَدٍ، وَفِي النِّهَايَةِ دُونَ حَيَاةٍ^[2]. وَكَذَلِكَ يَظْهَرُ بوضوحٍ فِي أَسْلُوبِ شَاذٍ لَهُمْ السُّلْطَةُ فِي الْكَنِيسَةِ -أَمْرٌ شَائِعٌ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا تَعَدِّيَّاتٌ جَنْسِيَّةٌ، وَسُوءُ اسْتِعْمَالٍ لِلسُّلْطَةِ وَالضَّمِيرِ- هِيَ الْاَكْلِيرُوسِيَّةُ، ذَلِكَ الْمَوْقِفُ الَّذِي "لَا يُلْغِي شَخْصِيَّةَ الْمَسِيحِيِّينَ وَحَسَبِ، بَلْ يَمِيلُ أَيْضًا إِلَى التَّخْفِيزِ وَالتَّقْلِيلِ مِنْ نِعْمَةِ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا الرُّوحُ الْقُدُسُ فِي قَلْبِ شَعْبِنَا"^[3]. إِنْ الْاَكْلِيرُوسِيَّةُ الَّتِي يَفْضُلُهَا الْكَهَنَةُ أَنْفُسُهُمْ أَوْ الْعُلَمَائِيُّونَ، تَوَلَّدَ شَقًّا فِي الْجَسَمِ الْكِنْسِيِّ يَغْدِي وَيُسَاعِدُ عَلَى اسْتِمْرَارِ الْعَدِيدِ مِنَ الشُّرُورِ الَّتِي نَدِينُهَا الْيَوْمَ. أَنْ نَقُولَ لَا لِلتَّعَدِّيَّاتِ يَعْنِي أَنْ نَقُولَ لَا بِقُوَّةِ لَأَيِّ شَكْلِ مِنْ أَشْكَالِ الْاَكْلِيرُوسِيَّةِ.

وَمِنَ الْجَيِّدِ دَائِمًا أَنْ نَذْكُرَ "أَنَّ الرَّبَّ وَمَنْ خَلَّصَ شَعْبًا. وَلَا تَوْجِدُ هَوِيَّةَ كَامِلَةٍ دُونَ الْإِتِّمَاءِ إِلَى شَعْبٍ مَا. لِذَلِكَ لَا يَخْلُصُ أَحَدٌ بِمُفْرَدِهِ، كَفَرْدٍ مُعْزَلٍ، وَلَكِنْ اللَّهُ يَجْذِبُنَا آخِذًا بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ التَّرْكِيْبِيَّةِ الْمُعْقَدَةِ لِلْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ الَّتِي تَقُومُ فِي الْجَمَاعَةِ الْبَشَرِيَّةِ: لَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِيْنَامِيكِيَّةٍ شَعْبِيَّةٍ، فِي دِيْنَامِيكِيَّةٍ شَعْبٍ" (الإرشاد الرسولي أفرحوا وابتهجوا، عدد ٦). لِذَلِكَ فَالطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي نَمْلِكُهَا لِلرَّدِّ عَلَى هَذَا الشَّرِّ الَّذِي حَصَدَ الْعَدِيدَ مِنْ

الأرواح هي عيشه كما لو كان واجباً يلزمنا ويطالنا جميعاً كشعب الله. هذا الإدراك بشعورنا جزء من الشعب ومن تاريخ مشترك سيسمح لنا بالاعتراف بخطايانا وأخطائنا في الماضي مع انفتاح توبة يسمح لنا بأن نتجدد من الداخل. كل ما يتم فعله للقضاء على ثقافة الاستغلال من جماعاتنا بدون المشاركة الفعالة لجميع أعضاء الكنيسة لن يكون قادراً على توليد الديناميكيات الضرورية من أجل تحول سليم وفعال. إنَّ بُعد التوبة والصوم والصلاة سيساعدنا كشعب الله على أن نقف أمام الرب وأمام أخوتنا الجرحى، كخاطئين يتوسلون المغفرة ونعمة الخجل والتوبة، فنقوم هكذا بأفعال تنتج ديناميكيات تتناغم مع الانجيل. لأننا "كلّ مرة نسعى فيها للعودة الى ينبوع كي نستعيد رونق الانجيل الأصيل، تظهر سبل جديدة، أساليب خلاقة، أشكال تعابير أخرى، علامات أفصح، كلمات محملة بمعنى متجدداً للعالم اليوم" (الإرشاد الرسولي فرح الانجيل، عدد 11).

أنه لأساسي بالنسبة لنا ككنيسة أن ندرك وندين مع الألم والعار، الوحشية المرتكبة من قبل أشخاص مكرّسين وإكليروس ومن جميع الذين أوكلت إليهم مهمة الاعتناء بالأكثر ضعفاً وحمايتهم. لنطلب المغفرة على جميع خطايانا وخطايا الآخرين. فإدراك الخطيئة يساعدنا على الاعتراف بالأخطاء والجرائم والجراح التي سببت في الماضي ويسمح لنا بالانفتاح والالتزام بشكل كبير في الحاضر في مسيرة ارتداد متجدد.

وفي الوقت عينه، ستساعد التوبة والصلاة عيوننا وقلوبنا لتصبح أكثر إدراكاً أمام معاناة الآخرين وتتصر على الرغبة في التسلّط والتمكّن التي غالباً ما تصبح جذوراً لهذه الشرور. لتفتح الصلاة والصوم آذاننا على ألم الأطفال والشباب والعاجزين، الألم الصامت. صوم ينال لنا الجوع والعطش للعدالة ويدفعنا للمضي في الحقيقة فدعم جميع الوساطات القضائية الضرورية. صوم يهزّنا ويحملنا على الالتزام في الحقيقة والمحبة مع جميع الأشخاص ذوي الإرادة الصالحة ومع المجتمع بشكل عام للنضال ضدّ أي نوع من التبعّيات الجنسية، وسوء استعمال السلطة والضمير.

بهذا الشكل يمكننا إظهار الدعوة التي دُعينا إليها كي نكون "العلامة والأداة في الاتحاد الصّميم بالله ووحدة الجنس البشريّ برمته" (المجمع الفاتيكاني الثاني، نور الأمم، عدد 1).

قال لنا القديس بولس "إذا تألّم عضو تألّمت معه سائر الأعضاء". من خلال موقف الصلاة والتوبة يمكننا الدخول في تناغم شخصي وجماعي مع هذه الدعوة، لكي تنمو فيما بيننا عطايا التعاطف والعدالة والوقاية والتعويض. إنَّ مريم قد عرفت أن تقف عند اقدام صليب ابنها. لم تقم بذلك بطريقة عادية، بل كانت واقفة بثبات، وبالقرب منه. وبهذا الموقف تعبّر عن طريقها في الوقوف في الحياة. عندما نخبر اليأس الذي تسببه هذه الآفات الكنسية من المفيد أن نثابر مع مريم أكثر في الصلاة (را. القديس اغناطيوس دي لويولا، *الرياضات الروحية*، عدد 319) ساعين للنمو في المحبة والأمانة للكنيسة. هي، التلميذة الأولى، تعلّمتنا نحن التلاميذ كيف علينا أن نتصرّف أمام معاناة البريء بدون تهرّب وجبن. أن نظر إلى مريم يعني أن نتعلم أن نكتشف أين وكيف يجب على تلميذ المسيح أن يكون.

ليعطنا الروح القدس نعمة الارتداد والمسحة الداخلية لتمكن من التعبير أمام جرائم التعديات هذه، عن توبتنا وقرارنا للنضال بشجاعة.

الفاتيكاني، 20 أغسطس / آب 2018

البابا فرنسيس

[1] هذا الجنس من الشيطان لا يخرج إلا بالصلاة والصوم (متى 17، 21).

[2] را. رسالة إلى شعب الله الحاج في تشيلي، 31 مايو/أيار 2018.

